في العناد بعد ما وصفا قوالهم وافعالهم في الايات المتقدمة واتفاقهم على دفع الحق بعد ما تبين لهم
واتضح دليله والاز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج قوله ومعنى لا تعجل
بهلاكهم فانه لم يبق بينك وبين هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة والعد كناية عن سرعة تقضي
اجالهم وقلة ايامهم وانفاسهم كما في قوله تعالى دراهم معدودة اي قليلة تعد عدا لان الكثير ربما يعسر لكثرة
قوله وافدين عليه اشارة الى انه نصب على الحال وانه جمع وافد كركب جمع راكب وهو مصدر في الاصل
يقال وفد يفد وفدا ووفودا ثم اطلق على الاعيان الخارجية كالضيف المتقين بالوافدين على الملوك للكرامة
عندهم عبر الله عن نفسه بضمير المتكلم المعظم نفسه حيث قال يوم المتقين ثم التفت وعبر بالاسم الظاهر فقال
الى الرحمن تصريحا بان المحشور اليه هو ربهم يعمهم بالرحمة الواسعة والكرامة العظيمة بسببها الحال حشرهم
اليه ركبانا مشتملين على هيئة حسنة ومحاسن مجموعة بحال وفادة الوفاد على الملوك المنتظر لكرامتهم
وانعامهم عن علي رضي الله عنه انه قرأ هذه الآية وقال والله ما على ارجلهم يمشون ولكن يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها
فيركبون عليها حتى يضربون ابواب الجنة وشبه المجرمين بالابل العطاش التي تساق الى الماء والورد العطاش
لان من يرد الماء لا يرده الا العطاش ووصفهم بانهم يساقون الى جهنم اهانة لهم قوله وهو الناصب لليوم يعني ان
يوم في قوله يوم نحشر المتقين منصوب بقوله اذكر مقدرا او مضمرا في اي يوم نحشر المتقين ونسوق المجرمين
نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف واختلف في ان المراد بالشفاعة شفاعتهم لغيرهم او شفاعة الغير لهم
والمصنف قدم ذكر الاحتمال الاول وقرره على وجهين الاول منهما ان يراد بالعهد الايمان وما يتفرع عليه
من الاعمال التي وعدها الله لصاحبها سعادة الآخرة والمعنى لا يملك احد من اهل المحشر ان يشفع احد بشفاعة
الا ان يكون الشافع ممن اتخذ عند الله عهدا بان قدم اعمال الصالحة لوجه الله وطلب لمرضاته عبر عن نفس تلك
الاعمال بالعهد بمعنى الوعد للمبالغة في ان الله تعالى وعد لمن عمل بها اجرا عظيما فكانها صارت بذلك كانها
نفس العهد والوعد وعبر عن تقديمها خالصة لوجه الله باتخاذ العهد عنده تعالى ومن اجله الاجر العظيم الموعود
لمن عمل بها ان يتأهل صاحبها بسببها لان يشفع العصاة فقوله ها وعند الله متعلق بقوله يتخذ ويتأهل
والوجه الثاني مبني على ان يكون العهد بمعنى الامر والاذن والعهد بهذا المعنى يتعدى بالباء ومع محذوفة في الآية
كما في قوله امرتك الخير يقال عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يملك احد من العباد ان يشفع لغيره الا
من اتخذ اذنا فيها وامرا بها ومحل من اتخذ رفع على انه بدل من ضمير لا يملكون او نصب على انه بدل من
الشفاعة من اتخذ والحاصل ان قوله من اتخذ يحتمل ان يكون منصوبا على احد وجهين الاول ان يكون
بدلا من الشفاعة بتقدير المضاف فيكون كلمة من عبارة عن الشافع والثاني ان يكون مستثنى من ضمير
لا يملكون اي لا يملك احد من العباد ان يشفع لاحد الا احدا اتخذ عند الرحمن عهدا بسبب الايمان قوله و
قيل الضمير للمجرمين على قوله الضمير فيه للعباد فعلى هذا يكون المراد بالشفاعة غيرهم لهم لا شفاعتهم لغيرهم

لغيرهم لان المجرم لا يتأهل ان يشفع مع ما مثله قوله بالاسلام عطف بيان لقوله به موضح له اشار به الى ان
المجرم يستعد لان يشفع له بمجرد ايمانه وان كان من اهل الكبائر لانه لما قيل المجرمون لا يستحقون ان يشفع لهم
غيرهم الا اذا كانوا قد اتخذوا عند الله عهدا دخل فيه كلمة من اتخذ عنده عهدا فيدخل فيه صاحب الكبيرة
لانه باقراره واعتقاده بالتوحيد والرسالة يصدق عليه انه قد اتخذ عند الرحمن عهدا فيستحق ان يشفع له
كما يستحق اصحاب الصغائر لذلك فان كل واحد منهما مجرم موكول امره الى مشية الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء
عفى عنه تفضلا او بشفاعة الشافعين فان الشفاعة انما يكون فيمن استحق التعذيب فعلى هذا التأويل
يكون الآية دليلا على بطلان المعتزلة من ان صاحب الكبيرة لا يغفر له ما لم يتب وصاحب الصغيرة مغفور له ومن
كان مغفور الذنب لا معنى للشفاعة فيه فلم يبق للشفاعة متعلق على مذهبهم روى عن ابن مسعود رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله
عهدا وقالوا كيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
اني اعهد اليك عهدا باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك
ان تكلني الى نفسي تقربني الى الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توافيه
يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة
نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة قوله اعهد اليك اي اظهر هذا لك واضعه عندك بان
يجوز فيه كسر الهمزة ايضا اي اعهد اليك بذكر هذه الكلمات واعتقادها والعهد والطبع الختم وهو الاثر في الطين
ونحوه يقال طبع الكتاب على الكتاب اذا ختمه والطابع الخاتم وهو بالفتح والكسر فيه ومعنى يختم عليه
ويدفع كما يفعله الامين بما يعز عليه قدره قال الامام ظهر بهذا الحديث ان المراد بالعهد كلمة الشهادة ثم انه
تعالى لما بين ضلالة منكري البعث وعبدة الاصنام شرع في بيان ضلالة من اثبت له تعالى ولدا كما قالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت مشركو العرب الملائكة بنات الله فقال
وقالوا اتخذ الله ولدا قوله الضمير يحتمل الوجهين يعني ان ضمير قالوا للعباد مع انهم لم يقولوا ذلك
القول القبيح اجاب عنه بقوله لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم قوله مرة بعد
اخرى اشارة الى ان بناء التفعل للتكثير نحو تبضع اي جلها اي زنج ابضيعه قليلا والبضيع العرق ووجه دلالته
على التكثير انه مطاوع فعل وهو يكون للتكثير نحو غلقت الابواب وموتت البهائم فيتكثر ما يطاوعه ضرورة
فلذلك كان يتفطرن ابلغ من ينفطرن لان باب الانفعال مطاوع فعل الثلاثي ولا دلالة فيه على الكثرة و
المبالغة ولان بناء التفعل لما كان للتكلف دل قوله يتفطرن على ان السموات سعين وتكلفن في حصول
التشقق فهو ابلغ في بطلان مقالة هؤلاء الكفرة وليس في بناء الانفعال دلالة على هذا المعنى ولا شك ان ما حصل
بالجد والاهتمام يكون ابلغ فان قيل كلمتهم الحمقاء كيف تؤدي الى انفطار السموات وسقوطها عليهم وانشقاق
الارض وخسفها بهم وخرور الجبال وانطباقهم عليهم غضبا على من اثبت لله ولدا مع انها جمادات لا يتصور
فيهم الغضب والسعي في اهلاك المبطلين اجيب بان معنى الكلام انه تعالى كاد ان يفعل السموات والارض والجبال

Copyright © King Saud University